

## نشأة الشعر العربي وتطوره

بمقدم:

د. آدم إبراهيم ياكسي

قسم العربية، جامعة ولاية يوبي، دما ترو.

ومحمد رمضان يونس

طالب ماجستير، جامعة ولاية يوبي ومحاضر بقرية اللغة العربية – إنغالا نيجيريا.

## ملخص البحث

تسعى هذه المقالة إلى إبراز نشأة الشعر العربي، وأوليته من بين الفنون الأدبية الأخرى، وذلك من خلال الوقوف على آراء النقاد القدامى، والبحث إذ يسعى إلى ذلك سيحاول مستعينا بالمنهج التاريخي الاستقرائي علما بأن الشعر ديوان العرب، وسجلهم الحافل، ووسيلتهم الإعلامية، ف سجلوا في أشعارهم واقع حياتهم وأفراحهم وأتراحهم وأيامهم وثقافتهم وما هجست به أفئدتهم، واهتم العلماء الأجلاء بجمع شعر الأوائل في مجاميع يسهل الوصول إليها، وسوف تحاول المقالة الإجابة عن الأسئلة الآتية: كيف نشأ الشعر العربي؟ ما هي آراء النقاد القدامى والمحدثين في ذلك؟ ومن أول من قال الشعر؟ وكان من النتائج التي توصل إليها أن الشعر العربي قديم النشأة جدا؛ لكن القسم الأوفر منه ضاع بعوامل مختلفة: بترك تدوينه، وبهلاك نفر كثير من رواته في الفتوح بعد الإسلام، وبتشاغل الناس عن روايته بالدين وبالفتوح.

الكلمات المفتاحية: الشعر - العرب - التطور.

**ABSTRACT**

This article aims to bring to light the emergence of Arabic Poem by analyzing the saying of ancient Critics, The research will be based on historic method because poem is the record books of Arabic and their means of communication they record reality of their day to day life their sadness, Wars, cultures and whatever they felt in their heart the great Scholars have shown in tress in complication of ancient poems in records for easy finding. The research will answer this question:

How did Arabic poem come in to being?

What are the Ideas of ancient and modern Critics about that?

Who is the first to make Poem?

Among the Finding is that Arabic poem is very old but most was loss due to different factors: not recording it, death of many who memorize it in Islamic Conquest, and by truing away from it and concentrating on religion and Conquest.

**المقدمة**

الحمد لله خالق المصنوعات، وبارئ البريات، ومدبر الكائنات، ومصرف الألسن الناطقات، ومفضل لغة العرب على سائر اللغات، المنزل كتابه بها، والمرسل رسوله وحبيبه محمداً - صلى الله عليه وسلم - بها، تنويرها بشأنها وتعريفها لعظم محلها، وارتفاع مكانتها. وبعد:

إن الفنون الأولى التي ظهرت في الوطن العربي قديماً وبين القبائل العربية هو الشعر والخطابة. وهو من أكثر الفنون التي يهاها العرب لما فيها من كلمات رنانة تتجسد بروح كاتبها وقارضها عند ما يقوم بإخراج الكلمات ذوات المعاني الدقيقة القيمة تشعر بأنها تخرج من قلب الشاعر، والشعر العربي موجود منذ زمن قديم، واشتهر العرب بالفصاحة والشعر. والدليل على ذلك أن الله تعالى أنزل كتابه الكريم بلغة العرب ووصفها بالبيان، قال تعالى: " وإنه لتنزيل رب العالمين، نزل به الروح الأمين، على قلبك لتكون من المنذرين، بلسان عربي مبين" ، وللشعر أهمية كبيرة لا ينكرها ذوو الألباب، فهو للتسلية والمتعة وخدمة للأمة جمعاء، فمن خلاله تقف على معرفة البيئة والثقافة التي عايشها الشاعر وغير ذلك. وستسعى المقالة في دراستها سائرة على محورين رئيسيين:

المحور الأول: تعريف الشعر، وبيان أوليته.

المحور الثاني: تطور الشعر العربي.

المحور الأول: تعريف الشعر وبيان أوليته:

الشعر في اللغة: هو العلم. وفي الاصطلاح: كلام مقفى موزون على سبيل القصد والقيّد، الأخير يخرج نحو قوله تعالى: "الذي أنقض ظهرك. ورفعنا لك ذكرك. فإن مع العسر يسرا. إن مع العسر يسرا..."<sup>٢</sup> فإنه كلام مقفى وموزون لكن ليس بشعر لأن الإتيان به موزونا ليس على سبيل القصد.<sup>٣</sup>

وعرفه الهاشمي: "الشعر هو الكلام الفصيح الموزون المقفى المعبر غالبا عن صور الخيال البديع".<sup>٤</sup>

فانطلاقا من هذه التعريفات نعرف أن الشعر هو ما اشتمل على أربع: الوزن، والقافية، والكلام الفصيح، الصورة الشعرية.

والشعر له جماله الفني المتميز، إنه يحمل الصورة والحركة والعاطفة والفكر، وله صياغته الخاصة صياغة تضيف اللون الخاص من الجمال حتى يبرز الجمال الشعري، والصياغة الشعرية تفرض على الشاعر صاحب الموهبة أن يختار الألفاظ التي تتناسب مع المعاني الدقيقة وتفرض عليه كذلك أسلوب التعبير والتركيّب حتى تتناسق الكلمات على جرس خاص له حلاوته الخاصة.<sup>٥</sup>

آراء النقاد حول أولية الشعر العربي

يصعب تحديد أول من قال الشعر، لأنه فن قولي يصدر من القلب أحيانا، ويخالطه شعور ووجدان وعاطفة، وليس بفن كتابي والأمة العربية كما نعلم أمة أمية لا تعلم القراءة ولا الكتابة. لكن هناك بعض الآراء حول أولية الشعر العربي، وسوف نذكرها:

الرأي الأول: رأي ابن قتيبة في كتابه "الشعر والشعراء، حينما يتحدث عن أوائل الشعر العربي فقال: "لم يكن لأوائل الشعر إلا الأبيات القليلة يقولها الرجل عند حدوث الحاجة". ثم أردف بعض شعر القدامى الذي يرى أنه من قديم الشعر، فذكر قول دويد بن نهد القضاي:

اليوم يبني لدويد بيته # لو كان للدهر بلى أبليته

أو كان قرني واحدا كفيته # يا زُب نهب صالح حويته

ورُب عبل خشن لويته.<sup>٦</sup>

وأضاف أيضا قول الشاعر: أعصر بن سعد بن قيس بن عيلان:

قالت عميرة ما لرأسك بعد ما # نغد الشباب أتى بلون مُنكر

أُعْمِرَ إن أباك شيب رأسه ### مر الليالي واختلاف الأعصُر.<sup>٧</sup>

ومن هنا نعلم أن ابن قتيبة يرى أن أولية الشعر العربي كانت أبيات قليلة، لم تبلغ قصيدة، يقرضها الشاعر في وقت الحاجة، أو في المناسبات المتعددة، لذلك أورد بعض ما يراه قديم الشعر العربي الذي قيل في المناسبات المختلفة، فقول دريد يتبين أنه في مناسبة زواجه، لأن عادة العرب البناء للمتزوج ليبنى بزوجه فيه، وقول أعصر في مناسبة هرمه ووكبر سنه لأن تعبير نغد الشباب عبارة عن الشيخوخة ولفظ "شيب رأسه" دلالة إلى أنه قد شاخ وكبر سنه.

الرأي الثاني: الشيخ محمد باقر المجلسي قائلا: "سئل أمير المؤمنين علي - رضي الله عنه- عن أول من قال الشعر؟ فقال: "آدم". فقال: "وما كان شعره؟"

قال: "لما أنزل على الأرض من السماء فرأى تربتها وسعتها وهواها، وقتل هابيل، فقال آدم - عليه السلام-:

تغيرت البلاد ومن علمها #### فوجه الأرض مغبر قبيح

تغير كل ذي لون وطعم ### وقل بشاشة الوجه المليخ.<sup>٨</sup>

لكن هناك ردود عنيفة تنكر مثل هذه الروايات، ومن ذلك قول السيد الهاشمي (وقد خفي علينا كأكثر الأمم مبدأ قول الشعر، وأول من قاله، أما ما نسب من الشعر إلى آدم - عليه السلام - وإبليس والجن والعرب البائدة فهو حديث خرافة لا يصح شيء من ذلك).<sup>٩</sup>

الرأي الثالث: قول الدكتور عمر فروخ وهو في صدد حديثه عن نشأة الشعر العربي فنذكر: "أن الشعر العربي قديم النشأة جدا، ولكن القسم الأوفر منه ضاع بعوامل مختلفة: بتترك تدوينه، وبهلاك نفر كثير

من رواته في الفتوح بعد الإسلام، وبتشاكل الناس عن روايته بالدين وبالفتوح" ويقول في موضع آخر: "والشعر الذي وصل إلينا من الجاهلية يمثل دورا راقيا لا يمكن أن يكون الشعر قد بلغ إليه في أقل من ألفي سنة على الأقل، غير أنه لم يصل إلينا من ذلك الشعر الأول شيء". ١٠.

ويتبين جليا من خلال ما قاله الدكتور أن الشعر الذي وصل إلينا من الجاهلية، والذي نتدارسه ونقرأه في الكتب اليوم ليس بأول الشعر العربي، لأن القسم الأكثر منه ضاع، ويرجع ذلك إلى ألفي سنة على الأقل، ويؤيد قول الدكتور عمر فروخ الأستاذ أحمد الزيات حيث قال: "الشعر أقدم الآثار الأدبية عهدا لعلاقته بالشعور وصلته بالطبع، وعدم احتياجه إلى رقي في العقل، أو تعمق في العلم، أو تقدم في المدنية، لكن أوليته عند العرب مجهولة، فلم يقع في سماع التاريخ إلا وهو محكم مقصد، وليس مما يصوغ في العقل أن الشعر بدأ ظهوره على هذه الصورة الناصعة الرائعة في شعر المهلهل بن ربيعة وامرئ القيس..."، وذكر في موضع آخر: "وكهان العرب كهان الإغريق هم الشعراء الأولون فكانوا يستلحمونها بالأناشيد ويستلحمونها بالأدعية ويخبرون الناس بأسرار الغيب... فلما ارتقى فيهم ذوق الغناء، وانتقل الشعر من المعابد إلى الصحراء، ومن الدعاء إلى الحداء، اجتمع الوزن والقافية فكان الرجز، ثم تعددت الأوزان بتعدد الألحان". ١١.

ويؤيدهما حنا الفاخوري حيث قال:

(وبداية الشعر العربي أقدم، ففي ما وصل إلينا منه إشارة إلى ما انقرض، وإلا فأين آثار الجاهلية الأولى؟ وأين هذا الشعر الكثير الذي أشار إليه الرواة والشعراء في الجاهلية الثانية، وأين هذا الديوان الذي حوى جميع مظاهر الحياة الجاهلية؟ لم يبق إلا المقطوعات والأبيات القليلة بالإضافة إلى ما ضاع، وفي رياض الشعر الجاهلي لا يجد في شدراته التي نجت من أيدي الضياع ما يدل على كونه فنا صغير السن. فإن جميع ما نقل إلينا من الشعر يظهر لنا في غاية الإتقان وزنا وتقفية، وهو يجمع بين رقة العبارة إلى دقة الإشارة، ومتانة التراكيب إلى رشاقة الأساليب، فليس من الممكن مثل هذا الكمال في صناعة حديثة، لأنه من المعلوم أن كل مبتدئ لشيء لم يسبق إليه، لا بد من أن يكون قليلا ثم يكثر، وصغيرا ثم يكبر، وضعيفا ثم يتقوى وهكذا نشأ الشعر بطيئا، وقد يكون النثر المسجع الذي دار على

ألسنة الكهان والعرافين مظهرا من مظاهر البداية الشعرية لأنه قائم على الوزن والقافية، ويكون الرجز أقدم البحور الشعرية ظهورا، ويكون الهزج مرافقة الصوت لحركة راكب الناقه... وهكذا نشأت الأوزان الشعرية وزنا وزنا بطريقة طبيعية بدائية بعيدة كل البعد عن الروايات التي اصطنعت فيما بعد). ١٢. وهذا الرأي في هذا الباب أقرب إلى الصواب.

ولعل أقرب دليل إلى أن هناك شعراء كثر ضاعت أشعارهم، قول عنتر بن شداد العبسي في معلقته:

هل غادر الشعراء من متردم # # أم هل عرفت الدار بعد توهم

بمعنى هل تركت الشعراء موضعا مستترقا إلا وقد رقعوه وأصلحوه، وهذا استفهام يتضمن معنى الإنكار، بمعنى: لم يترك الأول للأخر شيء، أي سبقي من الشعراء قوم لم يتركوا لي مستترقا ومستصلحا أصلحه، ولم يتركوا شيئا إلا رجعوا نغماتهم بإنشاء الشعر وإنشاده في وصفه ورصفه. ١٣

وقول امرئ القيس في معلقته:

عوجا على الطلل المحيل لأننا # # نبكي الديار كما بكى ابن خدام. ١٤

والشعر الذي صحت روايته منذ أواسط القرن الثاني قبل الهجرة ينتهي أقدم مطولاته إلى مهلهل بن ربيعة وأقدم مقطعاته إلى نفر لعلمهم لم يبعدوا عنه طويلا مثل العنبر بن عمرو بن تميم، ودريد بن زيد بن نهد، وأعصر بن سعد عيلان، وزهير بن جناب الكلبي، والأفوه الأودي، وأبو دواد الإيادي، وقد روي أنه لم يكن لأوائل العرب من الشعر إلا الأبيات يقولها الرجل في حاجته و أن أول من قصد القصائد وذكر الوقائع المهلهل بن ربيعة التغلبي في قتل أخيه كليب فهو أول من رويت له كلمة تبلغ ثلاثين بيتا وتبعه الشعراء مثل امرئ القيس وعلقمة وعبيد ممن أخرجوا لنا الشعر العربي في صورته الحاضرة. ١٥

#### المحور الثاني: تطور الشعر العربي.

وإذا أردنا أن نتكلم عن تقدم وتطور الشعر العربي، فإنه يجدر بنا أن نسير على تطوره عبر العصور الأدبية المقسمة عن طريق الحياة السياسية، والدينية، والاجتماعية بدءاً من العصر الجاهلي، وانتهاءً إلى العصر الحديث والمعاصر.

أولاً: العصر الجاهلي، وينتهي إلى ظهور الإسلام، ومدته نحو خمسين ومائة سنة. ١٦ يرى أكثر الباحثين أن كلمة (الجاهلية) مشتقة من الجهل بمعنى السفه والغضب والنزق فهي ضد الحلم. ويرى الألوسي أنها: "لفظ حدث في الإسلام للزمن الذي كان قبل البعثة" وفي ظنه حظ من الصواب غير يسير، فقد وردت الكلمة في القرآن الكريم أربع مرات، منها قوله تعالى في نهى النساء عن التبرج: "ولا تبزجن تبرج الجاهلية الأولى". ١٧.

العرب أشعر الساميين فطرة، وأبلغهم قدرة، لاتساع لغتهم للقول، وملائمة بيئتهم للخيال، وصفاء قريحتهم، وسذاجة معيشتهم، وقوة عصبيتهم، وكمال حريتهم، وخلو جزيرتهم مما يصد الفكر عن التأمل، ويعوق الذهن عن التفكير، فهم بين الصحراء والسماء في فضاء من اللانهاية يملأ الذهن والنفس خيالاً وجلالاً وروعة، وهم فوق ذلك ذوو نفوس شاعرة، وطباع ثائرة، يستفزههم الرعب والغضب، فلم يتركوا شيئاً يجول ويدور في النفس أو يقع تحت الحس إلا نظموه، فكان الشعر ديوان علومهم وحكمهم. ١٨.

ومما ساعد على ازدهار الشعر الجاهلي هجرة القحطانيين إلى جزيرة العرب ومخالطهم بالإسماعيليين الذين هاجروا إلى جزيرة العرب، واختلاطهم بالمصاهرة والمجاورة والمحاربة والمتاجرة، وأظهر مواطن هذا الامتزاج مشاعر الحج والأسواق التي تقيمها العرب في أنحاء بلادها، ومن هذه الأسواق: سوق عكاظ، و مجنة وذو المجاز، وأهمها: سوق عكاظ: وكانت تقام من أول ذي القعدة إلى اليوم العشرين منه، وأقيمت تلك السوق بعد عام الفيل بخمس عشرة سنة، وكان يجتمع في هذه السوق أكثر الشعراء للمفاخرة بالشعر وغير ذلك، وكان من أشهر المحكمين بها في الشعر النابغة الذبياني. ١٩.

#### مكانة الشاعر في الجاهلية:

إذا كانت شعوب الأرض كلها تعد الشعر فناً من الفنون التي يتباهى بها كالرسم والنحت والموسيقا، فإن عرب الجاهلية كانوا يعدونها الفنون كلها، فيه اجتمعت ثقافتهم، والشعر إلى جانب وجهه الفني يمثل وجه

الحياة الفكرية، صاحبه سيد من أشرف القبيلة، وربما نافس رئيس القبيلة وأوشك بيزه، حتى أصبح كما يقول المشتشرق "نولدكه": "الشاعر نبي قبيلته، وزعيمها في السلم، وبطلها في الحرب، تطلب الرأي عنه في أمور العقل، ...".<sup>٢٠</sup>

الشاعر الجاهلي صحافي وحكيم، وكان الشاعر لسان القوم في الغارات والغزوات، يهيب بهم إلى أخذ الثأر، وإلى حماية الجار، ودفع كل عار، وكان في السلم ساحرا الجماهير تنقاد له صاغرة، وكان على كل حال، حكيم القوم، ومرشدهم، وخطيبهم، ونائبهم المتكلم باسمهم، ومؤرخهم، وعالمهم، وكانت القبائل تتجنب ذم الشعراء وهجائهم، لشدة سيورة شعرهم وبقائه، وكانوا إذا أسروا شاعرا أخذوا عليه الموائيق، وربما شدوا لسانه بنسعة - القطعة من الحبل - حتى لا يهجوهم، كما صنع بنو تميم بعبد يغوث بن وقاص الحارثي حين أسر يوم الكلاب، فقال:

أقول، وقد شدوا لساني بنسعة ## أمعشر تيم أطلقوا من لساني<sup>٢١</sup>

وتجدر الإشارة في هذا الصدد إلى شعراء المعلقات لأنها أشهر القصائد الجاهلية، وقد اختلف العلماء في أمر جمعها وتسميتها وعددها، ومع مرور الأيام زاد في الحياة الأدبية وجه جديد، ذلك أن الشعراء يتبارون في سوق عكاظ أمام أحد فحول الشعر - وقد ذكروا منهم النابغة الذبياني - فمن حكم له أنداده اختيرت قصيدته و"علقت" قيل: أعدوها علقا أي شيئا نفيسا، وقيل كتبوها بالذهب وعلقوها على جدران الكعبة، وقيل: بل علقوها بالذهن أي حفظوها عن ظهر قلب<sup>٢٢</sup> فكتبت في القباطي بماء الذهب وعلقت على أستار الكعبة، هذا ما ذهب إليه ابن عبد ربه، وابن رشيق وابن خلدون، إلا أن أبا جعفر النحاس قد أنكر هذا الرأي وذهب إلى أن حماد الراوية هو الذي جمع هذه القصائد وسماها المعلقات في مطلع العهد العباسي، وذهب مذهبه كثير من العلماء المحدثين ولا سيما المستشرقين منهم، فرأى بلاشير: "أن عدة مجموعات من الشعر ظهرت في القرن الثالث الهجري، بفضل علماء العراق، ..."<sup>٢٣</sup>



واختلفوا في عددهم فقال بعض المؤرخين وهو الرأي الغالب على أنهم سبع، وأصحابها: - امرئ القيس،  
زهير بن أبي سلمى - طرفة بن العبد - لييد بن ربيعة - عنتر بن شداد العبسي - عمرو بن كلثوم -  
الحارث بن حلزة. ٢٤

نماذج من شعرهم وأغراضهم:

١- امرئ القيس: اسمه جندح، معروفا بلقبه امرئ القيس أصغر أبناء حجر بن الحارث. ومطلع معلقته:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل ## بسقط اللوى بين الدخول فحومل. ٢٥

٢- النابغة الذبياني: هو أبو امامة زياد بن معاوية. ومطلع معلقته:

عوجوا فحيوا لنعم دمنة الدار ### ماذا تُحيون من نُوى وأحجار

أتاني أبيت اللعن أنك لمتني ##### وتلك التي أهتم منها وأنصب. ٢٦

٣- زهير بن أبي سلمى: وهو مزني الأب، ربيعة بن رباح. ومطلع معلقته:

أمن أم أوفى دمنة لم تكلي # بحومانة الدراج فالمتثلّم. ٢٧

٤- عمرو بن كلثوم: بن مالك التغلبي. ومطلع معلقته:

أبا هند فلا تعجل علينا ## وأنظرنا نخبرك اليقيناً. ٢٨

٥- عنتر بن شداد العبسي: ومطلع معلقته:

هل غادر الشعراء من متردّم ## أم هل عرفت الدار بعد توهم. ٢٩

ثانياً: العصر الإسلامي: ويشمل بني أمية، وابتدئ بظهور الإسلام وينتهي بقيام دولة بني العباس،

سنة (١٣٢هـ). ٣٠.

جاء النبي الأكرم - صلى الله عليه وسلم-، والشعر ديوان العرب، فأتاهم بالقرآن الكريم يدعوا الناس إلى توحيد الله والتمسك بالفضيلة فصار ذلك صارفا لهم عن التشاغل بالشعر محولا مجرى أفكار المؤمنين منهم من أكثر فنونه المتحرفة عن سنن الشرف والحق، وبغض إليهم تلك الفنون المردولة إزاء القرآن على الشعر بقوله: "والشعراء يتبعهم الغاؤون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون، وأنهم يقولون ما لا يفعلون، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا..." ٣١ ولبت الحال على ذلك مدة حياة النبي الأكرم، حتى إذا ما ثاروا لإسكان فتن أهل الردة وفتح الممالك والأمصار، أضافوا إلى ما ألفوه من أغراض الشعر الإكثار من التباهي بالنصر، ووصف المعارك، وأحوال الحصار، وآلات القتال، ولما آل الأمر إلى بني أمية وشغب عليهم كثير من فرق المسلمين أصبح الشعر لسانا يعبر عن مقاصد كل حزب، حتى أصبح حرفة عتيدة، وصناعة جديدة، ومورد ثروة. ٣٢

أما الأغراض الشعرية في هذا العصر فيلخص في الآتي:

- ١- نشر عقائد الدين وحكمه ووصاياه والحث على اتباعه، وخاصة في زمن الرسول - صلى الله عليه وسلم- وخلفائه الراشدين.
  - ٢- التحريض على القتال ووصفه والترغيب في نيل الشهادة رفعا لكلمة الله.
  - ٣- الهجاء: في سبيل الدفاع عن الإسلام بهجو مشركي العرب بما لا يخرج عن حد المروءة.
- شعراء هذا العصر: فشعراء هذا العصر ممن خلصت عربيتهم واستقامت ألسنتهم ولم يمتد إليهم اللحن، وقد زادتهم مدارس القرآن الكريم فصاحة وبلاغة وإحكاما وإتقاناً، ومن أشهرهم: - كعب بن زهير، - الخنساء، - حسان بن ثابت، - جرير، - الفرزدق، - الأخطل. وغيرهم الكثير. ٣٣
- ١- الخنساء: هي تماضر بنت عمرو السلمية: ومن شعرها تبكي وترثي أخاها صخرا:  
 وإن صخرا لوالينا وسيدنا ## وإن صخرا إذا نشتوا لنحار  
 وإن صخرا لمقدام إذا ركبوا ### وإن صخرا إذا جاعوا لعقار

٢- حسان بن ثابت الأنصاري (رضي الله عنه). من شعره وهو يمدح الرسول (صلى الله عليه وسلم) ويدافع عن الإسلام: ومن ذلك قوله:

لساني وسيفي صارمان كلاهما ## ويبلغ ما لا يبلغ السيف مذودي. ٣٤

٣- الفرزدق: هو أبو فراس همام بن غالب التميمي الدارمي: ومن جيد شعره قوله يمدح علي بن الحسين:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته ### والبيت يعرفه والحل والحرم

هذا ابن خير عباد الله كلهم ### هذا التقى النقي الطاهر العلم

وليس قولك من هذا بضائه ### العُرب تعرف من أنكرت والعجم. ٣٥

٤- جرير: هو أبو حزره بن عطية بن الخطفى التميمي اليربوعي: ومن شعره في الرثاء:

لولا الحياء لهاجني استعبار ### ولزرت قبرك والحبيب يزار

ولهت قلبي إذا علتني كبرة ### وذوو النمام من بنيك صغار. ٣٦

وقد ركز الشعر العربي في عصر صدر الإسلام بعض الركود لعوامل المذكورة وغير المذكورة، ثم انتشر وازدهر ازدهارا شديدا في العهد الأموي لعوامل المذكورة، ففيه شعر النضال الديني، وشعر الفتوحات، وشعر النضال السياسي، والعصبي، وشعر اللهو.

ثالثا: العصر العباسي: ويتدئ بقيام دولتهم، ١٣٢ هـ وينتهي بسقوط بغداد في أيدي التتار، سنة ٦٥٦ هـ.

انقسم الشعر في هذا العصر إلى قسمين:

١- الشعر الرسمي: هو الشعر الذي يقال في العظماء مدحا أو رثاء للتكسب المادي أو المعنوي، ولا سيما وقد أصبح الشاعر في هذا العصر بلبل القصور ونديم الملوك، وقد تنافس الأمراء في تقريب الشعراء وتكريمهم، وكان هدف الشعراء دغدغة الأثرة في العظماء، فقالوا في المعاني، وزيفوا العواطف، وصاروا

على عمود الشعر في جلال، وبطاء، وجلجلة أوزان وقواف، وتأنقوا في التعبير فأغرقوا المعاني القديمة في جو من الزخرفة الحديثة. ٣٧

منهم البحتري: وهو أبو عبادة الوليد بن عُبيد، غلب عليه اسم البحتري نسبة إلى عشيرته الطائية بحتر، ولد بمناج سنة ٢٠٤ هـ، وقيل بل بقرية تجاورها، وفي أخباره أن ملكته الأدبية تفتحت سن مبكرة، وحدث أن التقى بأبي تمام في حمص، فأعجب كل بصاحبه، ومع أنه التقى بأبي تمام، وعرف المناهج الجديدة، ولكنه لم يستطع أن يجاريه في صناعته، فهو أعرابي من أهل البادية، ومثله لا يستطيع أن ينتقل دفعة واحدة من القديم إلى الجديد، ومن شعره يصف الدنيا:

تراها عيانا وهي صنعة واحد ### فتحسبها صنعي حطيم وأخرق.

وكذلك يقول في سر المهنة:

منى وصل ومنك هجر ## وفي ذل وفيك كبر

وما سواء إذا التقينا ## سهل على خلة ووعر

قد كنت حرا وأنت عبد ## فصرتُ عبدا وأنت حر. ٣٨

ويقول في موضع آخر ادا على الفلسفة والثقافة:

كلفتمونا حدود منطقتكم ## والشعر يغني عن صدقه كذبه

ولم يكن ذو القروح يلجج بال منطق ما نوعه وما سببه

والشعر لمج تكفي إشارته ## وليس بالهذر طولت خطبه. ٣٩

٢- الشعر الشعبي: هو شعر اللهو والخمر، يمثل واقع الحياة وبعض ظاهراتها، ويميل إلى إرضاء الناس عامة

في تحرر من القيود، وسهولة تعبيرية، وثورة اجتماعية، ويمثل هذا الجانب بشار وأبو نواس. ٤٠

٣- ولتأخذ بشار على سبيل المثال: هو بشار بن برد كان أبوه من سبي المهلب بن أبي صفرة حين كان واليا على

خراسان من سنة ٧٩هـ إلى ٨٢هـ ووفد على البصرة مع بعض الأسرى وأقام بها مع زوجته، كانت رومية،

وقد ولد لهما بشار في العقد الأخير من القرن الأول الهجري، أعمى لا يبصر، ولما استيقظت في بشار مواهبه الشعرية يغدوا على المربد، فيستمع للفرزدق وجريير وأضرابهما، وتعرض لجريير يريد أن يشتمه ولكنه لم يأبه به. ونراه مترددا إزا الخلفاء العباسيين.

ومن جيد شعره قال مفتخرا بقيس مواليه في ميميته:

إذا ما غضبنا غضبة مضرية ### هتكنا حجاب الشمس أو تُمطر الدما

وقد نقرأ له غزلا يحتفظ فيه بكراماه وكرامة المرأة مثل قوله:

لم يطل ليلى ولكن لم انم ### ونفى عني الكرى طيف ألم

نفسى عني قليلا واعلمي ### أني يا عبد من لحم ودم. ٤١

ومن أشهر شعراء هذا العصر: أبو تمام، - البحتري، أبو العتاهية، - أبو نواس، - المتنبي، - بشار بن برد، - مهيبار، وغيرهم الكثير.

الأدب الأندلسي: انتشر الشعر في الأندلس انتشارا واسعا بداعي الحياة الجميلة المترفة، وهو طبيعة جميلة تصور طبيعة البلاد وترف الحياة، وقد اتخذ الأندلسيون الطبيعة إطارا للهوهم، ومنطلقا لأحلامهم، ومادة لزخرفة شعرهم، وفي شعرهم تجديد وتقليد يمتزجان اعجب امتزاج، فالشاعر الأندلسي يعمل على تقليد الشاعر الشرقي، من غير أن يفقد شخصيته الأندلسية، من تنميق وزخرفة إلى حد الإغراق، والشاعر الأندلسي يرتاد في شعره أجواء العظمة الجميلة التي تنتظم التصنع التنمقي، بمثابة عنصر ضروري من عناصر الحياة، من تشخيص لكل شيء بحيث تنتشر الحياة في كل موجود، وبحيث يصبح كل موجود تعبيراً عن نفس الشاعر وقلبه، عن طريق موسيقى تنبعث أصداؤها من كل لفظة ومن كل عبارة، إنها أوزان رقيقة وأنغام حافلة بالعدوية. ٤٢

ومن أشهر شعراء الأندلس: ابن هاني، ابن دراج القسطلي، الغزال، ابن زيدون، المعتمد بن عباد، ابن خفاجة ابن زهر، ابن الزقاق البنسي، وغيرهم الكثير.

وتعد الموشحات الأندلسية من أبرز وأظهر تطور الشعر العربي.

حقيقة الموشح: هو نوع من الشعر قاد إليه الغناء، كما قادت إليه طبيعة الحياة والأحوال الاجتماعية، إنه شعر جديد في تسميته، وفي تركيبه وقالب التقفية فيه، وفي اتساع دائرة وزنه، وصياغته وتعدد أجزائه.

تركيبه:

١- المطلع - القفل - الخرجة: والمطلع يسمى مذهبا، إن وُجد المطلع سُمي الموشح تاما وإلا سُمي أقرع.

٢- الدور: يقع بين المصلع والقفل.

٣- الغصن أو السمط: الجزء في المطلع والقفل والخرجة يُسمى "غصنا"، والجزء في الدور يُسمى "سمطا"،

٤- تقفية المشحات ووزنها: تحرر الموشح من القيود الشعرية وكان في أوزانه وقوافيه شديد التنوع.

أشهر الوشاحين: عبادة بن ماء السماء، - محمد بن عبادة القزار، - الأعمى التُّطيلي، - ابن بقي، - الحفيد بن زهر، - ابن زمرك.

وأما عن أغراضها في بدء أمرها أغراض وجدانية، ثم سُخرت لجميع الأغراض الشعرية التقليدية. ٤٣

نموذج من شعر الموشحات: يقول عبادة بن ماء السماء:

مَنْ وَلِيَّ فِي أُمَّةٍ أَمْرًا وَلَمْ يَعْزَلْ إِلَّا لِحَاظِ الرَّشَاءِ الْأَكْحَلِ (مطلع)

جَرَّتْ فِي حَكْمِكَ فِي قَتْلِي يَامَسْرِفُ

(البيت) فانصف فواجبٌ أن يُنصفَ المُنصفُ (دور)

وأرأف فإن هذا الشوق لا يرأفُ

علل قلبي بذالك البارد السلسل ينجلي ما بفؤادي من جوى مُشعل (قفل). ٤٤

خامسا: عصر الانحطاط، أو عصر المالميك التركبية:

لما كان أكثر الملوك والأمراء في هذا العصر أعاجم بالفطرة، كان ميلهم إلى الشعر العربي غير طبيعي، ولذلك انقرض الشعر العربي من أواسط آسيا وبقية صُبابة منه بالعراق والجزيرة، وبقي على كل شيء من الرنق في الشام ومصر والأندلس والمغرب، غير أنه قل التمسك به فيها، فمال أكثر الشعراء إلى انتحال الكتابة في الدواوين صناعة واستعملوا الشعر في تملق الملوك والرؤساء في إظهار التفصح والتسلية فهجر قوله في الأغراض الهامة وعُدل به في أغراض أخرى.

والشعراء في هذا العصر كثيرون من أشعرهم: وجمال الدين بن نباتة، والشاب الظريف، والإمام البوصيري، وصفي الدين الحلبي. ٤٥

ومن نماذج شعرهم: شعر أبي البركات صفي الدين الحلبي في الحماسة:

سل الرماح العوالي عن معالينا ### واستشهدى البيض هل خاب الرجا فينا

وسائل العرب والأتراك ما ما فعلت ### في أرض قبر عبيد الله أيدينا

لما سعيينا فما رقت عزائنا #### عما نروم ولا خابت مساعينا. ٤٦

سادسا: العصر الحديث: كانت النهضة الحديثة ثمرة وعي شرقي شامل لما احتك الشرق بمدينة الغرب، ومن مظاهرات تلك النهضة المدارس، والطباعة، والصحافة والبعثات إلى الخارج،

أما الشعر الحديث فقد كان في بدء أمره تقليدا مضطربا للشعر العباسي، ثم محاولة للجمع بين أساليب الأقدمين، وأساليب العصر الحديث، ثم انطلاقا جديدا، وكان في هذا انطلاق تيار رومنطيقيا إبداعيا

انبثق من ويلات الحرب ومن الاستبداد والضيقة وسادت فيه العاطفة المتألمة، إلى جانب تيار واقعي يدل على شعور الشعراء بوجوب الخروج من حياة الانكماش والعزلة، وحمل قسط من المسؤولية الاجتماعية، إلى جانب تيار رمزي في ترنيم موسيقي أسر، مع الشاعر الصيرفي ونزار قباني، وسعيد عقل، وأمين نخلة، وكان موضوعا أو تجربة مع إيليا أبي ماضي، ٤٧.

وقد بدأ بهذه النهضة شعراء مصر يقودهم البارودي، وهي نهضة لا تعد في صورتها العامة ثورة على القديم، بل هي متصل به اتصالا شديدا، إذ نرى الشعراء يعودون بالشعر العربي إلى رونقه الذي نعرفه في العصر العباسي، ٤٨.

والشعراء في هذا العصر كثيرون بعضهم تقيدوا بالقديم والبعض مزجوا بين القديم والجديد، والبعض تخلوا عن القديم وتمسكوا بالجديد. منهم: محمود سامي البارودي، أحمد بك شوقي، حافظ إبراهيم بك، إسماعيل باشا صبري، خليل مطران، نازك الملائك، جبران خليل جبران، وغيرهم الكثير.

أحمد بك شوقي: هورب القلم محيي دولة الشعر بعد العدم، شاعر النيل، أحمد علي شوقي بك المولود سنة ١٢٥ هـ، ينظم الشعر مع أصحابه فيكون معهم وليس معهم، وينظم حين شاء، وحيث شاء، لا يجهد فكره ولا يكده في معنى أو في مبنى، ومن ذلك قوله: يصف هيكل أنس الوجود:

أيها المنتحي "بأسوان" دارا ### كالثرثا تريد أن تنقضا

اخلع النعل واخفض الطرف واخشع ### لا تحاول من أية الدهر غمضا. ٤٩.

#### الخاتمة

الحمد لله حمدا يليق بجلاله وكماله وعظمته، أحمده في الآخرة كما حمدته في الأولى، وبعد هذه الجولة اليسيرة في تاريخ نشأة الشعر العربي وأوليته، وقد قدمنا تعريفه، وذكرنا الآراء حول أوليته، وتحدثنا عن



تطور الشعر العربي عبر العصور الأدبية المألوفة، فتراه يرقى في زمن وينحط في زمن آخر، ونشأ كما ينشأ الفنون والعلوم الأخرى من الضعف إلى القوة والصلابة.

#### قائمة الهوامش والمصادر والمراجع

- ١- القرآن الكريم، سورة الشعراء، الآية: ١٩٢-١٩، ص/٣٧٥.
- ٢- المصدر السابق، سورة الشرح، الآية: ٧-٣.
- ٣- محمد عبد الرؤوف المناوي، التعريفات، تحقيق: د/محمد رضوان الداية، (ط١)، دار الفكر المعاصر، دار الفكر بيروت، دمشق، سنة ١٤١٠) ج١/ص١٦٧.
- ٤- السيد أحمد الهاشمي، جواهر الأدب، (ط١)، ١٤١٩هـ، دار الفكر بيروت) ص/٢٥٢.
- ٥- عدنان، علي رضا النحوي، (الدكتور)، الحدائث في منظور إيماني، (ط٣)، دار النحوي بالرياض، ص/١٩٥.
- ٦- ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تحقيق: أحمد محمد شاكر، (دار الحديث بالقاهرة)، ج١/ص١٠٥.
- ٧- المصدر نفسه، ص/١٠٦.
- ٨- الشيخ المجلسي محمد باقر، بحار الأنوار، ج٧٩، ص/٢٩٠٠، مؤسسة الوفاء بيروت/لبنان، سنة: ١٤١٤هـ وذكر مثله في كتاب البصائر والذخائر، ج٤/ص٢٢٠.
- ٩- السيد الهاشمي، المصدر السابق، ص/٢٥٢.
- ١٠- فروخ، عمر، (الدكتور)، تاريخ الأدب العربي، الأدب القديم (ط٦)، دار العلم للملايين ١٩٩٢م، ج١/ص٧٣-٧٤.
- ١١- أحمد، حسن الزيات، المصدر السابق، ص/٢٥.
- ١٢- حنا، الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، - الأدب القديم - (دار الجيل بيروت)، ج١/ص١٣٢-١٣٤.
- ١٣- الزوزني، الحسين بن أحمد الحسين، شرح المعلقات السبع، تحقيق/أ، د/أحمد أحمد شيتوي، (ط١)، دار الغد الجديد، ١٤٣٠هـ، ص/١٤٩.
- ١٤- ديوان امرئ القيس، (الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر، سنة ١٩٧٤م)، ص/٢٥٠.
- ١٥- السيد الهاشمي، المصدر السابق، ص/٢٥٢-٢٥٣.
- ١٦- المصدر نفسه، ص/٢٤٥.
- ١٧- القرآن الكريم، سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.
- ١٨- أحمد، حسن الزيات، المصدر السابق، ص/٢٦.
- ١٩- السيد الهاشمي، المصدر السابق، ص/٢٤٤-٢٤٥.

- ٢٠- غازي، طليعات، (الدكتور) وعرفان الأشقر، الأدب الجاهلي قضاياه - أغراضه - أعلامه - فنونه، (ط٢، ١٤٢٨هـ، دار الفكر بدمشق)، ص/٦٦.
- ٢١- حنا الفاخوري، المصدر السابق، ص/١٣٥-١١٣٦.
- ٢٢- عمر، الفروخ، تاريخ الأدب العربي، ص/٧٤-٧٥.
- ٢٣- حنا الفاخوري، المصدر السابق، ص/١٥٠.
- ٢٤- أحمد، حسن الزيات، المصدر السابق، ص/٢٨.
- ٢٥- عمر الفروخ، المصدر السابق، ص/١١٦.
- ٢٦- السيد الهاشبي، المصدر السابق، ص/٢٥٨-٢٥٩.
- ٢٧- حنا، الفاخوري، المصدر السابق ص/٣٥٠-٣٥٢.
- ٢٨- تاريخ الأدب العربي، الزيات، ص/٥٠-٥١.
- ٢٩- الزيات، المصدر السابق، ص/٤٥-٤٦.
- ٣٠- السيد الهاشبي، المصدر السابق، ص/٢٤٤.
- ٣١- القرآن الكريم، سورة الشعراء، الآية: ٢٢٤-٢٢٧.
- ٣٢- الهاشبي، المصدر السابق، ص/٢٨٥-٢٨٦.
- ٣٣- المرجع نفسه، ص/٢٨٧.
- ٣٤- حنا الفاخوري، ص/٤١٤-٤١٥.
- ٣٥- الهاشبي، المرجع السابق، ص/٢٩٥-٢٩.
- ٣٦- المرجع نفسه، ص/٢٩٧.
- ٣٧- حنا الفاخوري، المصدر السابق، ص/٤٢.
- ٣٨- شوقي، ضيف، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، (ط١٣، دار المعارف)، ص/١٨٨-١٩٤.
- ٣٩- المرجع نفسه، ص/١٩٦.
- ٤٠- حنا الفاخوري، المصدر السابق، ص/٤٢.
- ٤١- شوقي، ضيف، المرجع السابق، ص/١٤٨-١٥٥.
- ٤٢- حنا الفاخوري، المصدر السابق، ص/٤٣.
- ٤٣- المصدر نفسه، ص/٩٤٦.
- ٤٤- المصدر نفسه، ص/٩٥٦.

- ٤٥- السيد الهاشبي، المرجع السابق، ص/٣٣٦.
- ٤٦- أحمد الزيات، المرجع السابق، ص/٢٩٨-٢٩٩.
- ٤٧- حنا الفاخوري، المصدر السابق، ص/٤٤.
- ٤٨- شوقي، ضيف، المصدر السابق، ص، ٥١٣.
- ٤٩- الهاشبي، المرجع السابق، ص/٣٥٢.